المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.59151/namajournal.v10i3.570

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 28-10-2025
تاريخ القبول: 11-6-2026

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في علوم الوحي والدراسات الإنسانية

نحو دراسة مسحية للدراسات القرآنية لدى المستشرقين خلال المئة والخمسين عاما الأخيرة

باقر رياحي مهر

ترجمة:

ليلى ثمراوي[1]

laila.tamraoui2017@gmail.com

الملخص:

شهدت دراسة القرآن الكريم في الغرب تطورا وتقدما منذ أن قُدِّم القرآن للغربيين في القرن الهجري الأول (القرن الثامن الميلادي). تتناول هذه الدراسة، متوسّلة بمنهج وصفي–بحثي وبمقاربة نقدية، جهود المستشرقين في مجال الدراسات القرآنية خلال المئة والخمسين عاما الماضية. بدأت أعمال المستشرقين بأساليب نصيّة، وتطورت مع ظهور مناهج علم الاجتماع الديني وعلم النفس الديني في القرنين السابع عشر والثامن عشر. أما مناهج الظاهراتية الدينية، وتحليل الوثائق، والمنهج الأثري، فقد بلغت ذروتها من حيث المحتوى والاتساع منذ القرن التاسع عشر فصاعدًا. وعلى مستوى المناهج، ورغم إحراز تقدم ملموس في المجالات والموضوعات القرآنية، فإن التطوّر المنهجي والتقدّم المنهجي للدراسات القرآنية الغربية لم يكتمل بعد، إذ ظلّ النهج الجدلي والدوغمائي مهيمنا في الغالب. ومع ذلك، لا يمكن تجاهل المقاربات الواقعية وغير المتحيّزة في أي فترة زمنية، بل تبدو هذه النزعة أكثر بروزًا في الدراسات القرآنية الغربية في الآونة الأخيرة. ويخلص المقال، مدعوما بأدلة علمية، إلى أنّ الدراسات القرآنية الغربية، رغم تقدمها في مجالات قرآنية مختلفة، ما تزال حاملة لافتراضات مسبقة وأحكام متحيزة، وأن أعمال المستشرقين في هذا الميدان تواجه تحديات وأضرارا جدية.

الكلمات المفتاحية:

الدراسات القرآنية، المستشرقون، القرن التاسع عشر، القرن العشرون، دراسات التفسير.

(1) طالبة دكتوراه الحوار الديني والثقافي في الحضارة الإسلامية، حاصلة على شهادة ماجستير العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية: تكامل المناهج والمعارف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال، المغرب.

للاقتباس: رياحي مهر، باقر، نحو دراسة مسحية للدراسات القرآنية لدى المستشرقين خلال المئة والخمسين عاما الأخيرة، ترجمة: ليلى ثمراوي، مجلة نماء، مركز نماء، مصر، مج10، ع3، 2026، 212-227.

© نُشر هذا البحث بموجب ترخيص (CC BY-NC4.0) المفتوح، الذي يسمح لأي شخص بتنزيل البحث وقراءته والتصرف به مجانًا، مع ضرورة نسبته إلى صاحبه بطريقة مناسبة، مع بيان ما إذا أُجريت عليه أي تعديلات، ولا يجوز استخدام هذا البحث لأغراض تجارية.

OPEN ACCESS
Received: 2025-10-28
Accepted: 2026-6-11

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في
علوم الوحي والدراسات الإنسانية

The Survey of The Quranic Studies of Orientalists in the Last 150 Years

Baqer Riahi Mehr

Translated by: Laila Tamraoui[2]

laila.tamraoui2017@gmail.com

Abstract:

This study traces the evolution of Western Qur'anic scholarship from its early beginnings in the eighth century CE to the present, highlighting both its methodological advances and persistent limitations. Using a descriptive-critical approach, it examines Orientalist contributions over the past 150 years, noting the shift from purely textual analyses to the incorporation of sociological, psychological, phenomenological, and archaeological methods, particularly from the seventeenth century onward. While these approaches expanded the scope of Qur'anic studies and enriched their content, methodological progress remains incomplete, as dialectical and dogmatic tendencies continue to dominate. At the same time, more balanced and objective perspectives have begun to emerge in recent decades, signaling a gradual move toward greater fairness. The study concludes that despite significant achievements, Western Qur'anic scholarship still suffers from preconceived assumptions and biased judgments, leaving Orientalist work in this field vulnerable to serious challenges and shortcomings.

Keywords:

Qur'anic studies, Orientalists, 19th century, 20th century, Interpretation Studies.

Master's degree in Islamic and Human Sciences, Faculty of Arts and Humanities, Sultan Moulay Slimane University, Beni Mellal, Morocco.

Cite this article as: Mehr, Baqer Riahi, "The Survey of the Quranic Studies of Orientalists in the Last 150 Years," translated by Laila Tamraoui, Journal of Namaa, Nama Center, Egypt, V 10, issue 3, 2026, 212-227.

© This research is published under an open license (CC BY-NC 4.0), which allows anyone to download, read, and use the research for free, provided it is properly acknowledged, indicating if any modification has been made to it. This research shall not be used for commercial purposes.

المقدمة:

تُعدُّ الدراسة القرآنية أحد فروع الدراسات الإسلامية. ويرجح أن بداية الاهتمام بهذا المجال تزامن مع الحضور البارز للمسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا) عقب الفتوحات الإسلامية في أواخر القرن الهجري الأول وأواخر القرن الثامن الميلادي، وذلك في عهد خلافة الوليد بن عبد الملك. في هذه الحقبة، في تلك الفترة تحديدا اطّلع الغرب لأول مرة على الإسلام والقرآن الكريم.

ومن الملاحظ أنّ البحوث القرآنية لدى الغربيين، منذ بدايتها وحتى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي، كان يغلب عليه الطابع العام، وتمحورت موضوعاتها الأساسية حول نبوة الرسول الأكرم ﷺ وسائر القضايا الإسلامية المرتبطة به، فضلا عن المسائل الجدلية الأخرى بين الإسلام والمسيحية. ويبدو أن أسلوب ومنهج البحث في هذه المرحلة كان نتيجة لقصور الوعي بمضامين القرآن وتعاليمه، الأمر الذي أفضى إلى استخلاص أدلة موجهة ضد النبي ﷺ.

ابتداءً من منتصف القرن الثاني عشر، بدأ إجراء بحوث أكثر تفصيلًا وشمولًا حول القرآن في صورة ترجمات وأعمال أخرى. وفي هذه الفترة، كُتبت أول ترجمة لاتينية للقرآن؛ إذ اطّلع الراهب بطرس المبجّل (Peter the Venerable) من دير كلويني في فرنسا، خلال رحلته إلى إسبانيا، على القرآن الكريم وتأثير الإسلام والقرآن على المسيحية. ولهذا الغرض، قرّر إنجاز الترجمة اللاتينية بمساعدة راهبين مسيحيين يتقنان العربية، هما روبرت الكيتوني (إنجليزي) وهرمان الدلماسي (ألماني)، إلى جانب عربي يُدعى محمد. وكان الهدف الرئيس من هذه الترجمة الأولى هو جعل النص القرآني العربي أداة مفيدة للمؤمنين من أبناء الكنيسة، ولهذا السبب بقيت هذه الترجمة حكرًا على المؤسسة الكنيسية لمدة خمسة قرون حتى عام 1543، ومنعت من النشر العام.

ومنذ منتصف القرن السادس عشر الميلادي، وبسبب أحداث مهمة كعصر النهضة والإصلاح الديني وظهور صناعة الطباعة، سنحت الفرصة لنشر القرآن في الغرب لأول مرة. وفي هذا القرن، نُشرت الترجمة اللاتينية الأولى على يد تيودور بيبلياندر (Theodore Bibliander)، كما طُبع النص العربي للقرآن للمرة الأولى. وقد أدّت هاتان الخطوتان إلى نموّ وازدهار البحث القرآني في الفترات اللاحقة، وبدأ النص العربي للقرآن يظهر بشكل متزايد في الدراسات القرآنية.

ومع بروز النزعة العقلانية والفكرية في القرن الثامن عشر، اكتسبت الدراسات القرآنية طابعًا جديدًا، وأصبحت مناهجها ومقارباتها أكثر تنوعًا بكثير مما كانت عليه قبلُ. ومنذ القرن التاسع عشر

وحتى اليوم، شهد هذا الحقل ذروة اهتمامه من حيث الموضوعات والمجالات والمناهج والمقاربات. ويهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل هذا المسار التاريخي، مركّزا على جهود المستشرقين خلال المئة والخمسين عاما الماضية.

1- الخلفية:

بالنظر إلى الامتداد الواسع للدراسات القرآنية التي أنجزها المستشرقون في القرون الأولى، وبغضّ النظر عن دوافعهم، يمكن تلخيص أبرز محاور البحث القرآني لديهم في النقاط الآتية:

1. الموسوعة القرآنية: مشروع موسوعي ضخم يتألف من خمس مجلدات وألف مدخل، نُشر حتى الآن منه ثلاث مجلدات؛ صدر المجلد الأول عام 2001 عن دار النشر ليدن (هولندا)، والمجلد الثالث عام 2003، وقد غطّت هذه المجلدات المداخل من الحرف A إلى الحرف O. تشرف على تحرير هذه الموسوعة الأستاذة دامان مكأوليف، أستاذة بجامعة جورجتاون في الولايات المتحدة، ويساعدها أربعة باحثين غربيين مختصين بالدراسات القرآنية والإسلامية (زماني، 2006).
2. الفهارس التفصيلية: من ذلك عمل المستشرق الفرنسي جول لابوم في تفصيل آيات القرآن الكريم، والذي راجعه محمد فؤاد عبد الباقي، وكذلك عمل علي الصغير المسمّى الفهرسة.
3. ترجمات القرآن: تعدّ ترجمة القرآن -سواء الكاملة أو الجزئية- من أقدم أنشطة المستشرقين وأبرز مظاهر استشراقهم وضوحا، وقد بدأت منذ القرن الثاني عشر بنيّة تشويه صورة الإسلام من قِبل السلطات الكنسية، وحظيت هذه الترجمات بانتشار واسع عبر القرون اللاحقة.
4. ترتيب السور: اعتقد أغلب المستشرقين أن ترتيب سور القرآن في زمن النبي ﷺ لم يكن على صورته الحالية؛ فقد اعتمد معظم المستشرقين على هذا التصوّر، وأجروا ترجماتهم وفق الترتيب الزمني لنزول السور، منكرين فكرة الترتيب التوقيفي، ومستندين في ذلك إلى أعمال نولدكه وشوالي وبلاشير.
5. الحروف المقطّعة: رأى المستشرقون أنَّ الحروف المقطّعة في القرآن بلا معنى ولا فائدة، ورأوا أنها ليست جزءًا من القرآن، بل هي حروف أولى أو رموز لأسماء أشخاص امتلكوا مصاحف شخصية في حياة النبي ﷺ. وعندما جمع زيد بن ثابت القرآن، أدرج هذه الرموز الخاصة بأصحاب تلك المصاحف في النص المكتوب.

استنادا إلى هذه الخلفية، يتبيّن أن الدراسات المتخصصة التي تناولت جهود المستشرقين في ميدان الدراسات القرآنية خلال المئة والخمسين عاما الأخيرة قليلة، وهو ما يمنح البحث الحالي ميزة الرّيادة والأصالة في هذا المجال.

2- الدراسات القرآنية في الغرب خلال المئة والخمسين عاما الأخيرة

بلغت الدراسات القرآنية في القرن الماضي ذروة نشاطها، وقدّم المستشرقون في مختلف المجالات القرآنية عددًا كبيرًا من الأعمال. ويختلف مستشرقو هذه المرحلة اختلافا واضحا عن أسلافهم في كونهم باتوا يتناولون الدراسات القرآنية والإسلامية في إطار أكثر تعاونا وتنظيما، مستخدمين مناهج وأساليب متعددة ومتنوعة.

ومع ذلك، فإن الإحاطة بجميع جوانب هذه الدراسات أمر بالغ الصعوبة؛ ذلك أن عدد الأعمال والباحثين في تزايد مستمر، وأنهم يتناولون القرآن الكريم بمناهج ودوافع وأساليب شيه غير محدودة.

وفي هذا السياق، يمكن الإشارة إلى أبرز المجالات التي شغلت حيزا مهما لا حدود لها من اهتمامات المستشرقين في هذه الفترة:

3- الدراسات القرآنية في النصف الأول من المئة والخمسين عامًا الأخيرة

شهدت هذه المرحلة تناول المستشرقين لمجالات متنوعة في البحث القرآني. ومن أبرز أبواب البحث التي حظيت بالاهتمام آنذاك: الجوانب اللغوية للتعبير القرآني، اختلاف القراءات والكلمات ذات الصلة، معاني المصطلحات والمفاهيم القرآنية، ترتيب النص ومراحل تأليفه وتناسقه، فضلا عن أثر المعتقدات التوحيدية السابقة على مضمون ورسالات القرآن (بما في ذلك تقاليد الكتب السماوية وملحقاتها) (شولر، 2008). وفيما يلي نذكر أبرزها وأكثرها تأثيرًا:

3-1. اهتمام كُتّاب السيرة بالبحث القرآني

يعتبر غوستاف فايل أول شخصية من هذه المجموعة، نُشرت له في هذا المجال عملان شهيران:

سيرة النبي محمد (1843م) وإضاءات نقدية-تاريخية حول القرآن (بيلفيلد، 1842) (بِل، 2012).

كما برز باحثان غربيان آخران هما ألويس زبرينغر وويليام موير، اللذان قاما بأبحاث موسعة للكشف عن مصادر ونصوص أقدم وأكثر موثوقية حول السيرة النبوية، وقضيا سنوات طويلة في الهند للحصول على تلك المصادر. وقد نشر زبرينغر أول رسائله عن تاريخ السيرة، مستندا على هذه المصادر المكتشفة حديثا، بالإنجليزية في الله أباد سنة 1851، قبل أن يستبدلها لاحقًا بعمل موسوعي من ثلاث مجلدات بالألمانية بعنوان حياة وتعاليم النبي محمد ﷺ، صدر في برلين عام 1861. خصّص في مقدمة المجلد الثالث نحو 36 صفحة للقرآن الكريم، تناول فيها موضوعات مثل الفرق بين السور المكية والمدنية، وجمع القرآن وتحريره (بِل، 2012).

أما موير، فقد حدد في أبحاثه تاريخ نزول السور بصورة أكثر شمولية وتفصيلًا، ونشر نتائجه في رسالة حول المصادر والنصوص الخاصة بكتابة سيرة النبي ﷺ، مرفقة بملحق عن سيرته.، ثمّ أعاد عرض هذه القضايا نفسها بتفصيل أكبر في كتابه الموسوم بـ تأليف القرآن وتعليمه والشهادة له، الذي نشره في لندن عام 1878 (بِل، 2012).

2-3. تزايد الاهتمام بالدراسات القرآنية في أوروبا

شهد القرن التاسع عشر تناميًا ملحوظًا في الاهتمام الأوروبي بالدراسات القرآنية، ومن أمثلته مبادرة الأكاديمية الفرنسية للنقوش والآداب سنة 1857 بمنح جائزة لأفضل دراسة في موضوع التاريخ النقدي لنص القرآن (بِل، 2012). اشترطت المسابقة أن تتناول الدراسة التقسيم الأولي للقرآن وخصائص أجزائه المختلفة، وتحديد المراحل المرتبطة بحياة النبي ﷺ، مع الاستفادة من أعمال المؤرخين والمفسرين العرب. وكان الغرض توضيح التغيّرات التي طرأت على النص القرآني منذ تلاوات النبي ﷺ حتى جمعه النهائي في المصحف، والبحث في النسخ المختلفة المتبقية بعد الجمع النهائي، بالرجوع إلى أقدم المخطوطات.

وقد جذبت هذه المبادرة انتباه ثلاثة باحثين: ألويس زبرينغر، والإيطالي ميشيل أماري، والألماني الشاب تيودور نولدكه، الذي نشر سنة 1856 دراسة مطوّلة باللاتينية عن أصل القرآن وجمعه وتحريره، وفاز بها بالجائزة، ثم أصدر النسخة الألمانية الموسّعة منها في غوتنغن سنة 1860 بعنوان تاريخ القرآن، الذي أصبح مرجعا أساسيا لمعظم البحوث القرآنية الأوروبية (كريمنيا، 2005).

ومن الأمثلة الأخرى هارتفيغ هيرشفلد، الذي نشر في لندن سنة 1902 كتاب أبحاث جديدة في مجال جمع القرآن وتحريره وتفسيره، بعد أن ألّف عدة أعمال عن القرآن. كما كتب هوبرت غريم -كاتب السيرة الاشتراكي- سيرة للنبي ﷺ، اتخذت منحى بحثيا مستقلا، متشابكا مع تاريخ جمع القرآن وتحريره وتحديد زمن النزول وترتيب السور (بِل، 2012).

3-3. الحروف المقطّعة

شكّل معنى الحروف المقطعة موضوعًا أثار اهتمام العديد من الباحثين خلال القرن العشرين. وقد تناوله نولدكه لأول مرة في تاريخ القرآن. ثمّ طُرحت بعده فرضيات متعددة، بدأها «لوث» وتلتها مقالات مفصلة لكل من «باور» و«غوسنس»، وقبل ذلك أضاف هيرشفلد، ولاحقا جونز وسيل وبيلامي، مواد جديدة لهذا النقاش (شولر، 2008).

4-3. اللغة الأصلية للقرآن

تناول المستشرقون في القرن العشرين مسألة اللغة التي كُتب بها القرآن، واللغة التي كان النبي ﷺ يتحدث بها (شولر، 2008). وقد اشتهر هذا الطرح بعمل «فالرس» المعنون اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة في العربية القديمة. وتقوم نظريته على أن القرآن أُوحي به أولًا بالعربية المنطوقة دون علامات إعراب في أواخر الجمل، وأن النص الحالي نتاج عمل لغوي لاحق فصل التعبير القرآني عن تأثيرات اللهجات العربية، ونسّقه وفق القواعد العربية التقليدية. وقد تبنّى هذه الفكرة باحثون مثل «كالي» و«لولنغ»، بينما اعترض عليها آخرون مثل «غير»، «نولدكه» و«شوالي».

يعتبر الرأي الشائع بين المستشرقين في هذا الصدد هو أن اللغة الأصلية للقرآن تكاد تطابق اللهجة المستخدمة في الحوارات داخل القبيلة والشعر الجاهلي، مع بقاء آثار من لهجة مكة في رسم المصحف.

في النصف الأول من القرن العشرين ظهر مجال جديد في دراسة اللغة الأصلية للقرآن، وهو دراسة المصطلحات القرآنية. بدأت هذه الأبحاث مع معجم عربي-إنجليزي للمصطلحات القرآنية الذي وضعه «بنريس»، وتحليل «توري» للمصطلحات التجارية في القرآن. ثم تحوّل الاهتمام نحو الكشف عن الأصول الاشتقاقية للكلمات المفتاحية في القرآن، وصلتها باستخدامها في الديانات التوحيدية السابقة. ومن أبرز الأعمال هنا: كتاب «هورويتز» أبحاث قرآنية، و«مينغانا» التأثير السرياني، و«أرنس» أبحاث

قرآنية، و»جيفري» كلمات في القرآن. واتجه البحث أيضا إلى تتبّع الجذور المحتملة في الاستعمالات اليهودية أو المسيحية أو اليهودية-المسيحية. وقد خلّفت هذه الدراسات إرثا طويل الأمد، إذ أمدّت الدرس القرآني بالأدلة على الروابط الفعلية بين الديانات التوحيدية، وأصبح معظم البحث الأكاديمي يدور حول الترابط بين هذه الديانات وكتبها المقدسة.

3-5. تأريخ الآيات والسور القرآنية

يُعدّ تحديد تاريخ نزول الآيات والسور القرآنية -وفق ترتيب النزول- أبرز ميادين البحث القرآني الغربي في القرن التاسع عشر. وقد واصل المستشرقون هذا البحث في القرن العشرين، لكن أغلبهم اعتمد على مناهج القرن التاسع عشر.

رغم أن الباحثين المسلمين قدّموا جهودًا مهمة في تأريخ الآيات والسور وفق ترتيب النزول، مستندين إلى منهج ثابت يقوم على الأحاديث الصحيحة ومراعاة أسلوب الآيات وسياقها الزمني، فإن المستشرقين حاولوا، كما في غيره من مجالات البحث الإسلامي والقرآني، أن يبتكروا مناهج جديدة، متجاهلين ما سبقهم من جهود إسلامية في هذا الميدان. ويُفسَّر ذلك باعتقادهم أن القرآن الكريم لم يُجمع ويُكتب في عهد النبي ﷺ، وأن هذا العمل أُنجز لاحقًا باجتهاد الصحابة؛ وبالتالي لا يرون بأسًا في تغيير ترتيب الآيات والسور وتقديم ترتيب زمني جديد.

وقد تناولوا مسألة التأريخ الجديد استنادًا إلى ترتيب النزول، لكنهم لم يحققوا نجاحًا كبيرًا نظرًا لقصور مناهجهم، إذ اعتمد معظمهم على ربط التأريخ بسيرة النبي ﷺ، أو بنبرة وأسلوب العبارات القرآنية، أو بالاستشهاد بأحاديث ضعيفة (رضوان، 1992؛ إسكندرلو، 2013).

يعتبر أول باحث غربي عمل في هذا المجال هو الألماني غوستاف فايل، الذي قدّم في كتابيه مقدمة نقدية تاريخية ومحمد النبي (بوبزن، 2002) نظامًا زمنيًّا ذا أربع مراحل: ثلاث مكية ومرحلة مدنية واحدة، اعتمادًا على موضوعات السور (مثل تشابه المحتويات والمصطلحات)، وعلى العناصر اللغوية والشكلية في نص القرآن (شولر، 2008). وقد أصبح في عام 1845 أستاذًا مساعدًا في اللغات الشرقية بجامعة هايدلبرغ، ثم أستاذًا عام 1861 (نوشابادي، 2017). وقد خصّص نحو أربعين صفحة من رسالته القصيرة للقرآن، عارضًا اختلاف المسلمين حول الآيات المدنية والمكية، ليبني نظامًا زمنيًا جديدًا، وبذلك كان أول من أعاد تقييم التصنيف التقليدي، فقسّم المكي إلى ثلاث مراحل، وهو ما

فسّره وأكّده لاحقًا نولدكه (شولر، 2008).

أما تيودور نولدكه، المستشرق الألماني، فقد عرض في كتابه الشهير تاريخ القرآن نظام تصنيف جديد للسور (أربع مراحل: ثلاث مكية وواحدة مدنية) استنادًا إلى منهجين: خارجي يشمل الأحاديث وكتب أسباب النزول، وداخلي يشمل الأسلوب والسمات اللفظية والتشريعات وموقف النبي ﷺ من اليهود والنصارى والمشركين. وقد قسّم المكي إلى ثلاث مراحل (بِل، 2012). ويتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء كبرى تقارب تسعمئة صفحة: الأول عن الوحي، والثاني عن جمع القرآن، والثالث عن القراءات والخط القرآني (نوشابادي، 2017).

أما الطبعة الثانية، التي صدرت في العقد الأول من القرن العشرين، فأضيفت إليها أعمال لثلاثة باحثين آخرين. وقد نشر تلميذه فريدريش شوالي الجزء الثاني في مجلد مستقل، بينما أصدر بيرغشتراسر وبريتسل الجزء الثالث بشكل منفصل، مع عرض نظام المراحل الأربع في الجزء الأول (شولر، 2008).

أما ويليام موير، المستشرق والمبشّر الإنجليزي، فقد أقام في الهند بين 1837 و1876، وتعلم العربية هناك، وكان متحيزًا للمسيحية (إسكندرلو، 2013). في كتابه حياة محمد وكتابه القرآن ونشأته وتعاليمه، قسّم السور المكية إلى خمس مراحل (بِل، 2012).

وجاءت جهود غريم في كتابه محمد لترتيب السور بناء على تطور القضايا الدينية مثل التوحيد والبعث، فقسّم المكي إلى ثلاث مراحل كما فعل نولدكه، لكن ترتيبه اختلف عنه قليلًا (بِل، 2012).

أما ريتشارد بِل، المستعرب الأسكتلندي، فقد قدّم في ترجمته الإنجليزية للقرآن (1937–1939) ترتيبًا جديدًا للسور، حيث اتبع الترتيب التقليدي للسور، لكنه داخل السور أعاد ترتيب الآيات وفق مصدر كل آية (بوبزن، 2002). وقد بنى ترتيبه على نظرية المراحل الثلاث في تأليف القرآن:

1. **مرحلة البدء**: حيث البقايا الوحيدة هي مقاطع وعظية وحوافز لعبادة الله.
2. **مرحلة القرآن**: وتشمل أواخر النشاط المكي وبدايات العهد المدني، حيث نُقلت الوحي إلى نص عربي.
3. **مرحلة الكتاب**: تبدأ بنهاية السنة الثانية للهجرة، حيث قدم النبي ﷺ الكتاب كوحي مستقل.

ويرى هارتوموت أن «أحدًا من علماء القرآن لم يستخرج نظرية للتماسك الداخلي للسور كما

فعل بِل» (بوبزن، 2002). أما ريجيس بلاشير، المستعرب الفرنسي، فقد اعتمد في ترجمته الفرنسية (1947–1949) على ترتيب نولدكه مع فروق طفيفة (بِل، 2012).

وتعاني جهود المستشرقين في تأريخ نزول القرآن مشكلات عدة: عدم الثقة بالأحاديث الصحيحة والسيرة النبوية (كما أشار غريم)، وقلة الإلمام الكامل باللغة العربية (كما عند هيرشفلد)، وعدم فهم الغايات التربوية للوحي، والاعتماد على أقوال ضعيفة لبعض العلماء المسلمين (رضوان، 1992).

4- الدراسات القرآنية في النصف الثاني من المئة والخمسين عامًا الأخيرة

4-1. نشر أبرز الأعمال القرآنية المؤثرة في هذه الفترة

أدى نشر ثلاثة أعمال عامة ومؤثرة في هذه المرحلة، التي تناولت ظاهرة القرآن الكريم بوجه عام، إلى ترسيخ البحث القرآني الحديث في صورة مجموعة متنامية من المناهج والرؤى والمقاربات الجديدة. وهذه الأعمال الثلاثة هي:

1. مقدمة بلاشير في طبعته الأولى لترجمته (1947)، والتي نُشرت بشكل مستقل عام 1959.
2. القرآن كنص مقدس (1952) لآرثر جفري.
3. مدخل إلى القرآن (1952) لريتشارد بِل، وقد نُقّح وأعيد تحريره على يد مونتغمري وات عام 1970 (شولر، 2008).

وتتميز هذه الأعمال بميزتين رئيسيتين:

1. أنها دراسات موسوعية مفصلة، تحتوي على أحدث المعلومات من جوانب متعددة، وخلاصات متنوعة لنتائج البحث القرآني منذ العقود الأولى للقرن العشرين حتى وقتها.
2. أنها قدمت جوهر تاريخ القرآن لنولدكه لغير الناطقين بالألمانية.
3. تحولت هذه الأعمال مع تاريخ القرآن، إلى مراجع أساسية ونصوص معيارية لكل باحث في القرآن.

2-4. دراسات التفسير

تعتبر دراسة التفسير من الموضوعات الأخرى المرتبطة بالقرآن في هذه المرحلة التي تناولها الغربيون بالبحث. وبطبيعة الحال، فإن بحث التفسير وتحليله أمر شائع مألوف بين المسلمين، الذين يركّزون في الغالب على كتابة التفاسير. أما الغربيون، فلم يكن هدفهم إنتاج تفسير كامل، إذ إن جمهورهم الرئيس هو المجتمع الغربي، ومجال تركيزهم ينحصر في ما يخدم أغراضهم البحثية المتعلقة بصحة النص القرآني أو تاريخ القرآن والعرب.

ولهذا السبب، لم يظهر لديهم دافع حقيقي لتأليف تفسير متكامل، بل انصبّ اهتمامهم على ما يمكن تسميته «التفسير البحثي» وليس «التفسير التدويني». وقد انحصرت محاور الدراسات التفسيرية الغربية في: موضوع التفسير، نشأة التفسير، تطوره، أنواعه، وأسبابه (كريمنيا، 2011). أي أنهم سعوا لمعرفة العوامل المختلفة التي أسهمت في بروز البذور الأولى للتفسير، وكيف تطور لاحقا بأساليب مختلفة، ولماذا قدّم المفسرون في القرنين الثاني والثالث الهجريين تفسيرا موسعا لآية معينة ولم يعلّقوا كثيرًا على غيرها.

محاور البحث التفسيري عند المستشرقين:

1. **تحقيق وتصحيح بعض كتب التفسير**: نال هذا المجال اهتماما أكبر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ومن أبرز الأمثلة: بحث المستشرق الألماني «فريتاج» (ت. 1886) في تفسير أسرار التأويل وأنوار التنزيل، والذي نُشر في لايبزيغ عام 1845، وكذلك عمل المستشرق الإنجليزي «ويليام ناسوليس» (ت. 1889) على تفسير الكشاف (حديدي، 2012).
2. **مناهج المفسرين والاتجاهات التفسيرية**: بدأ هذا المحور مطلع القرن العشرين وتطور في نصفه الثاني. من الأمثلة: كتاب مباحث جديدة في ترتيب القرآن وتفسيره لهيرشفلد (لندن، 1902)، وكتاب وهب بن منبه والتراث اليهودي-المسيحي في اليمن للمستشرق الفرنسي كليمان هوار (باريس، 1904) (هرماس، 2010)، وكتاب «غولدزيهر» الاتجاهات التفسيرية عند المسلمين (1921)، ومقال «هارتمان» تفسير القرآن في مجلة الدراسات الشرقية (1924).

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، ومع نشر كتاب «دراسات قرآنية» جون واسبرو، الذي اعتمد على التحليل النصي القديم، ظهرت موجة من الأبحاث التي تبنت منهجه. فقد درس وانسبرو

أعمال التفسير السابقة للطبري، مثل تفسير مقاتل بن سليمان، وفضائل القرآن لأبي عبيدة القاسم بن سلام، وتفسير عبد الرزاق، وشبهات القرآن للكسائي (ريبين، 2006).

وبعده، تبع كثير من الباحثين الغربيين منهجه في تحليل النصوص التفسيرية، مثل: أندرو ريبين في تحليله للنصوص المنسوبة إلى ابن عباس (1981، 1983)، ونورمان كالدر في مقال تفسير الطبري مع ابن كثير، وكريستوف فربك في مراجعة تفسير بهاء الله كتاب الإيقان (1995)، وكلود غيليو في دراسته لتفسير الطبري (1990) (ريبين، 2004).

3-4. الفهارس والمعاجم القرآنية

في هذا المجال من الدراسات القرآنية الغربية، يمكن الإشارة إلى ثلاثة أنواع من الأعمال:

أ. **الفهارس اللفظية** (قائمة كلمات القرآن أو مواضع نزول الآيات) (خرمشاهي، 1994). أول فهرس مرتب هجائيا لكلمات القرآن نُشر في لايبزيغ سنة 1839 على يد المستشرق الألماني غوستاف فلوغل بعنوان الفرقان حول القرآن. واعتمد محمد فؤاد عبد الباقي على عمل فلوغل في إعداد معجمه المفهرس، وهو ما يبرز بطء وضعف الجهود الإسلامية الرسمية في هذا الميدان. ورغم وجود ستة كتب معاجم قرآنية أعدها المسلمون قبل فلوغل (كما ذكر محسن بيدار)، فإنها لم تلقَ انتشارا واسعا. وبعد فلوغل، أعد العلماء المسلمون العديد من المعاجم، منها مفتاح كنوز القرآن وغيرها (زماني، 2006).

ب. **الفهارس الموضوعية** (قائمة المحتويات أو كشف الموضوعات أو وصف الآيات). أول معجم موضوعي في الغرب وضعه المستشرق الفرنسي جول لابوم (ت. 1876)؛ إذ قسّم القرآن إلى 18 بابا تشمل 350 موضوعا (خرمشاهي، 1994). وقد ترجم فؤاد عبد الباقي الكتاب إلى العربية بعنوان تفصيل آيات القرآن الكريم، كما تُرجم إلى الفارسية بعنوان كشف المطالب لمحمد حسن خان صني الدولة (ت. 1313هـ)، وبترجمة كيكاؤوس ملك منصور سنة 1344هـ (زماني، 2006).

ج. **فهارس المخطوطات القرآنية**: وفيها تُعرض المخطوطات والمجاميع القرآنية. ومن أمثلتها: فهرسة آرثر جون آربري لمجموعة مصاحف تعد من أندر وأقدم النسخ في أوروبا، وأقدمها نسخة كاملة كتبها ابن البواب سنة 391هـ (خرمشاهي، 1994). كما نشر مارتن لينغز ألبومات مشروحة لمجموعات مهمة من المصاحف المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني (خرمشاهي، 1994).

4-4. شرح وتصحيح بعض المعاجم الإسلامية

من الأمثلة: القاموس المحيط الذي ألّفه العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (729–817هـ)، أحد أقدم وأشهر وأوثق كتب اللغة العربية. وقد أورد الفيروزآبادي فيه عددا كبيرا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وقد وضع بعض القساوسة المسيحيين خطة لتحقيقه وإتمامه، وتولى القس «بطرس البستاني» (مولود 1819م) هذه المهمة، وبعد إدخال التعديلات اللازمة، نشره سنة 1870 باسم محيط المحيط، وأهداه إلى السلطان العثماني وحصل على جائزة مقابل ذلك (زماني، 2006).

5. التحليل

رغم الحماسة التي أظهرها المستشرقون للدراسات العلمية، فإن دراساتهم الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين امتزجت بنوع من التشاؤم المفرط. والواقع أن هذا التشاؤم كان امتدادًا للمواقف السلبية التي تبناها أسلافهم تجاه المصادر الإسلامية، لكنه أصبح أكثر حدّة.

ويتضح ذلك في أعمال «غولدزيهر» (1850–1921)، الذي اتخذ موقفًا مختلفًا عن نولدكه فيما يتعلق بأصالة القرآن، وكذلك في أعمال وآراء «شاخت» (1902–1962) و«مينغانا» (1881–1937) بالمقارنة مع المستشرقين السابقين (باكاتشي، 2003). كان هذان الأخيران يشكّان بجدية في أصالة النبي ﷺ نفسه وسنته، لكن مينغانا كان يرى أن القرآن لا يمكن فهمه دون فهم الدور الذي لعبته اللغة السريانية فيه (رينولدز، 2004). وقد حدّد حتى نسبة الكلمات الدخيلة في القرآن في أعماله (مينغانا، 2002)، غير أن أفكاره أُهملت إلى حد كبير (رينولدز، 2004).

وفي عام 1950، بلغ «شاخت» ذروة الشك بكتابه أصول الفقه الإسلامي، حيث طعن في صحة أي حديث في العالم الإسلامي. وبعد شاخت، تبنى باحثون مثل «وانسبرو» (1928–2002) هذا النهج (وانسبرو، 1977). وتُعد أعمال وانسبرو خطوة أساسية في البحث عن جذور الإسلام، إذ تناول في كتابيه المهمين الدراسات القرآنية (1977) والبيئة المذهبية (1978) هذه القضية بمنهج لغوي–تاريخي.

وقد شكك وانسبرو كليا في الروايات الإسلامية التقليدية – التي كان معظم المستشرقين يتقبلونها – ورأى أن القرآن نص كُتب في بيئة مذهبية يهودية–مسيحية في القرن الثالث الهجري، وأنه ليس من النبي ﷺ، بل من صنع المسلمين العرب الشماليين.

أما تلاميذ وانسبرو، مثل ريبين وكالدر وهوغتون، فقد تبنوا آراءه في هذا المجال (غوكّير، 2001). في المقابل، رأى «جون بورتون» – أحد تلاميذه – أن القرآن أخذ شكله في زمن النبي ﷺ، ورفض تمامًا فكرة جمع القرآن في عهد الخلفاء. وأكد أن «المحو» كان السبب الأهم لعدم جمع القرآن في حياة الرسول ﷺ.

6. الخاتمة

يمكن استخلاص عدة نتائج من البحث الحالي بخصوص موضوعات ومجالات الدراسات القرآنية في الغرب:

1. إن موضوعات ومجالات البحث القرآني لدى المستشرقين خلال المئة والخمسين عامًا الأخيرة، مثل: التنوع والتطور اللافت في الموضوعات المتعلقة بالقضايا الداخلية والخارجية للنص القرآني – كعلوم القرآن، وتعاليمه – تمثل بداية الدراسات الأكاديمية وما بعد الحداثية للقرآن الكريم، ومحاولة تحديد موقع مركزي لميدان الدراسات القرآنية ضمن الدراسات الإسلامية عند المستشرقين. ورغم هذا التنوع، فإن نتائج البحث لا تكشف عن تطور جوهري، إذ ما تزال معظم الدراسات القرآنية الغربية تعيد إنتاج نتائج قديمة ومكررة.
2. يمكن تقسيم الأعمال المؤلفة عن القرآن في هذه الفترة إلى أربع فئات:

أ. الأعمال التي تتناول نشأة جمع القرآن وتاريخه بوجه عام، وتحلل بنيته وأسلوبه.

ب. الأعمال التي كتبها مسيحيون بدوافع مسيحية.

ج. الأعمال التي تدرس التفاسير الإسلامية للقرآن.

د. الأعمال التي تبحث في تفسير موضوع أو آية معينة بمقاربات مختلفة.

3. تُعدّ موضوعات مثل: تحقيق وتصحيح بعض المعاجم الإسلامية، والنزعة التشاؤمية في الدراسات القرآنية منذ القرن العشرين، والفهارس والمعاجم القرآنية، والدراسات التفسيرية، ونشر أبرز الأعمال القرآنية المؤثرة، وتأريخ الآيات والسور، واللغة الأصلية للقرآن، والحروف المقطعة، واهتمام كتاب السيرة بالبحث القرآني – من أهم المحاور التي تناولها المستشرقون في الدراسات القرآنية خلال المئة والخمسين عاما الأخيرة.

References:

Bell, R. (2012). *An introduction to the history of the Qur'an (Revision and rewriting of Montgomery Watt)* (B. Khurramshāhī, Trans.). Center for the Translation of the Holy Qur'an.

Bobzin, H. (2002). Translation of the Quran. In *Encyclopedia of the Quran* (Vol. 5, pp. 340-358). Brill.

Iskandarī, M. J. (2013). Criticism of Quran dating according to Muir's narration. *Research and Field*, No. 19 and 20.

Gokkir. B. (2001). Origin, organization and influences on the Qur'an. In O. Leaman (Ed.). *The Quran: An Encyclopedia*. Routledge.

Hadidi, A. M. (2012). Quranic studies in Germany (Motives and achievements) (S. Zafaranizadeh, Trans.). *Andishe Sadeq*.

Hermas, 'A. (2010). Knowledge of Tafsir in the writings of the Orientalists (A. Rad, Trans.). *Aineh Harush* No. 104.

Karīmīniyā, M. (2006). History of the Qur'an (Nöldeke-Shwally), the history of compiling and criticizing its Arabic translation. *Research Journal of the Qur'an and Hadith*.

Id. (2011). Exegetical studies of the Holy Quran in the new era of the Arab world and the West. In *Proceedings of the Second Meeting of the Research Center for Written Heritage*. Tehran.

Khurramshāhī, B. (1994). *Quran studies*. Mashreq Cultural Publishing Center. (In Persian)

Mingana, A. (2002). Syriac influence on the style of the Koran. *Bulletin of the John Rylands Library, 11*(1), 77-98. https://doi.org/10.7227/BJRL.11.1.5

Nūshābādī, H. K. (2017). *Translation and criticism of the entry of academic study of the Quran in the post-enlightenment era* [Master's thesis of Quranic Sciences]. (In Persian)

Pākatchī, A. (2003). Critique of previous orientalist perspectives by recent orientalists. *The Quarterly Journal of Islamic Law Research, 5*(1), 8-21.

Reynolds. G. S. (2004). A reflection on two Qurānic words (Iblīs and Jūdī) with attention

to the theories of A. Mingana. *Journal of the American Oriental Society, 124*(4), 675-689. https://doi.org/10.2307/4132112

Ripin, A. (2006). *The current status of Qur'anic interpretation studies* (M. Karīmīniyā, Trans.). Islamic Culture and Communication Organization.

Id. (2004). Methodological points about the fourth chapter of the Qur'anic Studies book (M. Karīmīniyā, Trans.). *Research on the Sciences of the Qur'an and Hadith*, 1.

Rizwan, U. (1992). *The opinions of orientalists about the Holy Qur'an and its interpretation* (Vol. 1). Dar Tayyaba. (In Arabic)

Scholler, M. (2008). Post-Enlightenment academic study of the Quran. In *Encyclopedia of the Quran* (Vol. 4, p. 188), Brill.

Wansbrough, J. (1977). *Quranic studies: Sources and methods of scriptural interpretation* (Vol. 194). (A. Rippin, Trans.). Oxford University press.

Zamani, M. H. (2006). *Orientalists and Quran*. Bostan Kitab. (In Persian)